السيّد محمد مهدي القزويني الكاظمي

١٢٨٢ – ١٣٥٨هـ

١٨٦٥ – ١٩٣٩م

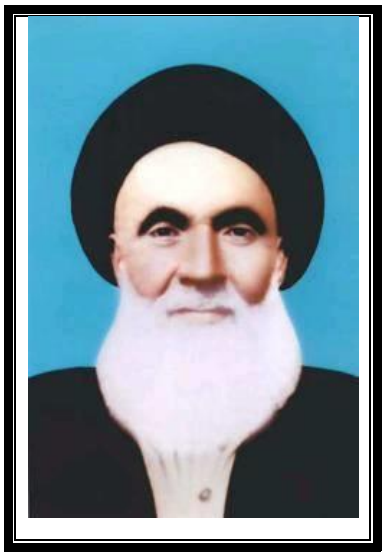

السيّد محمد مهدي بن السيد صالح بن السيّد مهدي بن السيّد أحمد الموسوي القزويني الكاظمي.

ولد بالكاظميّة سنة ١٢٨٢هـ، وقال في تاريخ ولادته الشيخ جابر الكاظمي هذا البيت:

بُشرى ألا فقد أتى مهديّ آل أحمد

قرأ القرآن الكريم، ثم شيئاً من مبادئ اللغة العربية، وهو صبيّ يبلغ السابعة من سنيّ عمره، على جماعة من أهل الفضل هناك. ولما جاوز العاشرة، بدأ بدراسة المنطق والمعاني والبيان والبديع والفقه وأصول العقائد على فضلائها. ثم سافر إلى سامراء سنة ١٢٩٩هـ، أيام السيّد ميرزا محمد حسن الشيرازي، ولبث فيها برهة قضاها بالدراسة والتحصيل والتحقيق. ومن أساتذته فيها: الميرزا ابراهيم بن المولى محمد علي المحلاتي، والشيخ إسماعيل الترشيزي.

ثم سافر إلى النجف، ولبث فيها مدّة اختلف فيها إلى مجالس العلم، ومجامع الفضل. وانتاب حلقات أعيان شيوخها، ثم عاد إلى سامراء، وبقي بها حتى سنة ١٣١٥هـ، آخذاً المعقول والمنقول. ثم برحها إلى (الريّ)، وبقي بطهران حتى سنة ١٣٢١هـ، ألقى في غضونها دروساً قيّمة في الدين والأخلاق، في مجامعها ونواديها.

وحج البيت، وناظر علماء أهل السنة والجماعة هناك. وبينا هو في دكان بعض الورّاقين– وكان يعتمر عِمّةً خضراء– وقد حلّق حوله فئة من أفاضل علماء أهل السنّة، قدم طائفة من الأعراب، وقالوا له: نحن على مذهب مالك، ونريد أن نظهر، ومالك يحرّم علينا الطواف ليلاً، فماذا نصنع؟ فأجاب السيّد: لا تثريب عليكم، ولا بأس بالطواف. فألتفت إليه كبيرهم وقال: كيف أفتيتهم في الطواف وتعلم أنهم مالكيّة؟ والإمام مالك يحرمه بالليل. فطلب السيّد من الورّاق (ميزان الشعراني)، لمحمد بن عبد الوهاب الشعراني، وقال للفضلاء حوله: ما رأيكم في الكتاب وصاحبه؟ فأجابوا: أما الكتاب فمعتبر، وأما مصنفه فعالم جهبذ، من أئمة الحديث الناقدين. فأخرج لهم منه إجماع الأئمة الأربعة على الجواز، لمن تمذهب بواحدٍ من

المذاهب الأربعة، أن يقلّد غيره في بعض المسائل، فسكت القوم. ثم قال له: كم مذهباً يؤمن به الناس؟ قال: أربعة. ثم قال له أوَرَدَ ذكرها في الكتاب أم السنّة؟ [قال: لا]، قال: من أين لكم هذه أذن؟ ولم يؤمن بها أحدٌ من أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون عندكم حسبما تقولون، فسكت ولم يحر جوابا. قال السيد: أنا أعلمك بخبرها؛ إن أول مؤسس للمذاهب الملك الظاهر بيبرس البندقداري، إذ ولىّ أربعة قضاة بمصر في القاهرة، هم: المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي، وحمل الناس على إتباعها، ومنع من خالفهم من كل شيء. والتفت إليه وقال: ما مذهبك؟ فقال شافعي. فقال له: لم اخترت الشافعي؟ قال: لأنّ أبي كان شافعياً. فقال السيّد: (بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)[1]، فسكت الرجل.

وغادر مكة، وزار مدينة الرسول وأئمة المسلمين بالبقيع، ثم سافر إلى الشام وحلب، وجملة من مدن الجزيرة، وأتى مصر، ولبث في القاهرة مدة طويلة، ناظر في غضونها فئة من علمائها، ودعا إلى الإعتصام بحبل الله، وعدم التفرّق، ولمّ الشعث، ورأب النأي، وكان يدعو إلى ذلك في كل مجمع ومجلس وناد.

وسافر منها إلى أذربيجان وقفقاس بروسيا، ورجع إلى طهران، وغادرها وحشةً منه، وقدم الكاظميّة، وكان يؤلفّ في أثنائها مختلف الكتب، التي تدعو إلى التوحيد والاجتماع. وجاء النجف فرغب إليه أشياخ علمائها أن يوجّه وجهه شطر الكويت، فأجاب ملتمسهم، ولبث فيها ست عشرة سنة، فأذعنت له، وأرخت له عنان تدبيرها، وأقواله هناك ما قالت حذام، وحكومته القول الفصل.

واهم مرحلة من مراحل وجوده في الكويت، تكمن عندما زاره الشيخ سالم المبارك (أمير الكويت)، في الحسينية الجديدة (الخزعلية) قبل حرب الجهراء، وعرض عليه ما يجري في الساحة من أحداث، فأبلغه السيد بأن أرض الكويت مكشوفة للأعداء، ولابد من إقامة سور منيع وحصين يحفظ البلد ويصد الاعداء عن دخولها، وبهذا يكون هو صاحب فكرة بناء السور الثالث، وقد أشرف بنفسه على التخطيط لبناء السور، فالتقى الأهالي وشجعهم وشحذ هممهم وبعث فيهم الروح القتالية، وبأن هذا هو وطنهم الذي يجب عليهم ان يدافعوا عنه، صوناً لعزته وكرامته وحريته.

---

[1] الآية ٢٢ من سورة الزخرف.

ثم زار المشاهد المباركة، فالتمس السيد أبو الحسن إرساله إلى البصرة، لكنه أبى أولاً، وفرض عليه الواجب أن يستوطنها، فسكنها ستة عشر عاماً، أسلم في غضونها كثير من النصارى واليهود والصابئة.

كان السيّد مجاهداً، يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وتصانيفه امارة شاهدة له بفضله في إحقاق الحقّ، وقمع الزيغ. وقد هدى أمة كثيرة من (الشيخية)، رئيسهم الشيخ حبيب قرين، قوامهم نيف واثنا عشر ألف. وقد ردّ الشيخية، والركنية، والمحدثين، والماسونية، والمادّية، واليهود، والنصارى، والبابية، والبهائية، والقاديانية.

أما أشياخه الذين قرأ عليهم، وتخرج بهم، فهم أئمة فضلاء رؤساء، منهم: السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، والسيد محمد مهدي الهندي، وميرزا محمد تقي الشيرازي، والشيخ محمد طه نجف، وميرزا حسين النوري. وقد شهد باجتهاده نفر من أشياخ العلماء، منهم: السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، والشيخ محمد كاظم الخراساني الآخوند، والشيخ محمد تقي الشيرازي، والشيخ فتح الله شيخ الشريعة الاصفهاني.

وقد ورد في بعض إجازات العلماء له: (إنه ممن غاص في غمرات المعقول، وخاض في لجج المنقول، وحصل على ما به الوصول، فتمكن من رد الفروع إلى الأصول، واستنباط الأحكام الفرعية. وإذا روى صحح، وإذا رأى أفصح، فله حقّ الولاية العامة، في جميع الأمور الحسبية، كالصلاة على من لا ولي له، والتولي على أموال الغائبين والقاصرين، وقبض مجهول المالك، وحق الإمام، وغير ذلك مما لا يجوز بِغَير حكام الشرع الشريف). وإجازاته في الرواية كثيرة.

أما كتبه فقد طبع منها:

١. ضربات المحدثين، مطبعة الكاظمية بالبصرة، سنة ١٣٤٧هـ، ٥٥ ص.
٢. زينة العباد، المطبعة العلوية بالنجف، سنة ١٣٤٦هـ، ١٨٠ ص.
٣. كشف الحق، مطبعة دار السلام ببغداد، سنة ١٣٤٥هـ، ١٢٠ ص.
٤. هدى المنصفين، ج١، المطبعة العلوية بالنجف، سنة١٣٤٢هـ، ٣٤٦ ص.
٥. هدى المنصفين، ج٢، المطبعة العلوية بالنجف، سنة١٣٤٢هـ، ٣٣٤ ص.
٦. منهاج الشيعة، ج١، المطبعة العلوية بالنجف، سنة ١٣٤٨هـ، ٦٨٨ ص.
٧. منهج الشيعة، ج٢، المطبعة العلوية بالنجف، سنة ١٣٤٨هـ، ٦٠٧ ص.
٨. غرر الجمان، المطبعة العلوية بالنجف، سنة ١٣٤٨هـ، ١٤٨ ص.

٩. غلبة البرهان، مطبعة الهدى بالعمارة، سنة ١٣٥١هـ، ١٢٥ ص.
١٠. بهتان الركنية، مطبعة الهدى بالعمارة، سنة ١٣٥٨هـ، ٦٢ ص.
١١. صدق الخطاب، مطبعة الهدى بالعمارة، سنة ١٣٥٠هـ، ٢٨٠ ص.
١٢. الغرر الحسينية، مطبعة الهدى بالعمارة، سنة ١٣٤٨هـ، ١٥١ ص.
١٣. غش الركنية، مطبعة الهدى بالعمارة.
١٤. ظهور الحقيقة، المطبعة العلوية بالنجف، سنة ١٣٤٧هـ، ٣١٦ ص.
١٥. خصائص الشيعة، مطبعة دار السلام ببغداد، سنة ١٣٤١هـ، ٧٢٣ ص.

وله كذلك: ذكرى للجمهور، وصولة الحق على جولة الباطل، وبوار الغالين، وحيّ على الحق، ولسان الحق، وبرهان الدين الوثيق.

توفي بعد مغرب الشمس، عشية الإثنين سابع ذي القعدة من سنة ١٣٥٨هـ. وشيّعه أهل البصرة وأشياخها، وأمراؤها وكبراؤها وأعيانها، غدوة الثلاثاء، ونقل إلى النجف. وقد استقبله أهل السماوة كافة، وانتظره وفد النجف (بأبي صخير)، وبلغوا النجف، فعطّلت الأسواق، وخرج أهل المدينة، وصلّى عليه المرجع السيّد أبو الحسن الاصفهاني، ودفن في الحجرة التي إلى يسار الداخل من باب الفرج إلى الصحن العلوي الشريف (حجرة رقم ٢ وفق الترقيم الحديث)[٢].

وقد أرخ وفاته الشيخ علي البازي:

بكى الدين الحنيف وناح شجواً ... إماماً عيلماً علماً منقّب
وأثكلت المحافل مذ نعاه ... له التاريخ نور المهدي غيِّب

وقال الشيخ علي حيدر:

غصّة جرعتنا كأس الأسى ... أيها الناعي افتراءً بعد غصّه
لم يمت مهديّنا أرّخت بل ... حجب الله من الأعين شخصه

[٢] من مصادر الترجمة: أعيان الشيعة: ١٥٣/١٠، فضلاء الكاظمية: ٣١-٣٧ ((قال الدكتور حسين علي محفوظ في بداية ترجمته: [أنفذ إليّ إبنه السيّد أمير محمد في شوّال سنة ١٣٦٨هـ، ما محصّله..])).

شعره:

نظم الشعر في عنفوان سنه، وقال القصائد والمقطعات في مقامات كثيرة، غير أنه لم يجمع ما قال، وقد ترك النظم لما ذرّف على العشرين، حيث جرى بينه وبين والده ما حمله على الإقلاع عنه. وكانت عنده مجموعة من شعره، لم يطّلع ابنه إلا على جزءٍ صغير منها، في أثناء كتبه.

وقال مشطّراً أبيات الآلوسي البغدادي في نقد اعتقاد الشيعة بوجود المهدي المنتظر:

(أيا علماء العصر يامن لهم خبر) بمن قد زهت في بشر مولده زبر
إمام هدى حاطت غمار علومه (بكل دقيق حار من دونه الفكر)
(لقد حار مني الفكر في القائم الذي) بصمصامه ينجاب عن دهر نزر
فقال بغاة بعد ما نار بدرنا (تنازع فيه الناس واشتبه الأمر)
(فمن قائل في القشر لب وجوده) يناقض ماقد قاله المصطفى الطهر
ومن رهطه صيد ثقات فانهم (ومن قائل هل ذبّ عن لبه القشر)
(وأول هذين اللذين تقررا) بتزويره فاد الصحائف والزبر
وثانيهما حق مبين محقق (به العقل يقضي والعيان ولا نكر)

وله[٣]:

الدمع منك يا طرف أجمل فانثر به عقدك المفصل
وارو عن القلب لي حديث الهوى فعنه الدموع ترسل
أنت تسلسلت في التصابي وكان قلبي هو المسلسل
فكيف أدعوه رب شوقي وآية الشوق منك تنزل
جئت بطوفان دمع عيني فقلت يا طرف أنت مرسل

[٣] مجلة البيان العدد ١٥ شباط ١٩٤٧/ ١٠ ربيع الأول ١٣٦٦ ص ٣٧٥.